

الطوطمية وهاجس الخلود عند إبراهيم الكوني

Totemism and the Obsession with Immortality According to Ibrahim Al-Koni

خساني فتحي¹ / زغودي دليلة²Khassani fethi¹ / dalila zeghoudi²

مخبر المعالجة الآلية للغة العربية جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

المركز الجامعي مغنية (الجزائر)

University centre of maghnia (algeria)

khassani.fethi@cumaghnia.dz¹ / dalila.zeghoudi@cumaghnia.dz²

تاريخ النشر: 2025/09/02

تاريخ القبول: 2025/06/16

تاريخ الإرسال: 2025/03/15

مَلِكُ حِجْلٍ لِلْبَحْثِ

برزت الصحراء في الرواية العربية المعاصرة بروزا فنيا وفكريا متفردا، حيث جمعت أشتات الأنثروبولوجيا وترسبات المعتقدات القديمة، وكُنت العقل التوعوي بتأبوتها وطوطمها الذي يعتمد أسطوريا واجتماعيا على تمثله للمقدس وصلته به، ومن أهم التجارب السردية والروائية التي ارتبطت بهذا الجانب أعمال إبراهيم الكوني لحضور المقدس والمدنس فيها. خاصة أنه جسّد ميثولوجيا الطوطمية في مجموعته القصصية "ديوان النثر البري"، حيث كان الهدف من البحث الوقوف على تماثلاتها للطوطم والتابو، ومعرفة تعامل الشعوب البيدايئة مع المقدس. وذلك من خلال الإشكالية المحورية: ما علاقة الطوطم بالخلود عند الصحراويين؟ ويظهر مبدئيا أن الطوطمية ناموس ونظام شريعة عند البدو، فالمساس بناموسهم جالب للعنة، ولا بدّ من التضحية للخلاص والخلود.

الكلمات المفتاح: طوطم، تابو، أنثروبولوجيا، صحراء، إبراهيم الكوني، ضبّ.

Abstract :

The desert has emerged in the contemporary Arabic novel with a unique artistic and intellectual emergence, as it brought together the scattering of anthropology and the deposits of ancient beliefs, and the pastoral mind formed with its coffins and cotton, which relies legendary and socially on its representation of the sanctuary and its connection with it, and among the most important narrative and narrative experiences that were associated with this aspect the works of Ibrahim Al -Kouni to attend the sacred and the cundient. Especially as he embodied the Totemia mythology in his story collection " Diwan Al-Nathr Al-Warri ", where the aim of the res earch was to determine

* خساني فتحي . khassani.fethi@cumaghnia.dz

their representations of totem and tabo, and to know the dedications of the people of the people with the Holy. And that is through the central problem: What is the relationship of the totem with eternity with the desert? It appears in principle that Toumiya is a law and a system of Sharia in the Bedouins, so the prejudice of their law is a reason for curse, and it is necessary to sacrifice salvation and eternity.

Keywords: Totem, taboo, anthropology, desert, Ibrahim Al-Kuni, lizard.



مقدمة:

إن ظاهرة تقديس الطبيعة معروفة عند الكثير من الأمم منذ القدم، وما العبادات الشمسية والقمرية والمدلولات الدينية لعناصر الطبيعة إلا تجليات كونية تكشف بنية ذلك المقدس في الديانات القديمة التي قدست الطبيعة واعتبرتها الموطن الأساسي للإنسان من منطلق أن الآلهة كانت تستوطن هذه الطبيعة باعتبارها رمزا للخلق الأول، ولهذا فقرار الإنسان بأن يسكن الطبيعة هو قرار وجودي تحكمه رؤية مقدسة كما يرى مرسيا إلياد إذ يقول: "تعيش في كون مقدس وتساهم في قداسة كونية ظاهرة في عالم حيواني كما في عالم نباتي"¹، فالطبيعة بالنسبة للإنسان المتدين ليست طبيعة فحسب بل هي مثقلة دائما بقيمة دينية مفعمة بالقداسة لأن الإله أبدعها أو حضر في أحد أرجائها². وهناك من يرى أن الإنسان المغاربي القديم عاش في بيئته الأولى محاطا بأنواع مختلفة من الحيوانات البرية والطيور الكاسرة، التي وقف ضعيفا أمام قوتها وهولا يملك سوى أدوات بدائية فرأى أن يقدسها خوفا منها³.

وفي أدب إبراهيم الكوني نجد بعض الشخصيات تعزل النجع وتتخذ من الكهوف والجبال مأوى للتعبد والتنسك، وهذا ما تجسده الرسوم الصخرية القديمة، حيث تتجلى الطوطمية بشكل واضح من خلال الأشكال المتعددة للحيوانات التي قدسها طوارق الصحراء قديما، والطقوس المقترنة بالأساطير الموعلة في القدم، والقائمة على أساس احترام الطوطم. وقد جاء تركيز الكوني على الطوطم نتيجة استلهامه للثالوث الذي أهدته إليه الصحراء حيث: "هذا الثالوث الذي قدّمته لي الطبيعة الصحراوية على سبيل الإهداء صار لي هاجسا من ذلك اليوم: الله، وحدة الكائنات والحرية"⁴ وفي المتن الذي درسناه -رواية ديوان النثر البري- نجد ظهورا بارزا لنظام الطوطمية، حيث اقترن بالضرب الذي يعتقد أهل الصحراء أنه جدّم الأول.

- إشكالية البحث:

من الدوافع التي جعلتنا نعالج هذا الموضوع بعد قراءة المجموعة القصصية لإبراهيم الكوني "ديوان النثر البري" معرفة تأثير الطوطمية على حياة الطوارق والقبائل الصحراوية البيدائية حيث حاولنا الإجابة على الإشكالية التالية: ما العلاقة بين الطوطم والخلود في عرف الصحراويين؟ كما حاولنا البحث في إشكاليات فرعية من بينها: ما مكانة المقدس عند الشعوب القديمة؟، كيف يكون الاتبعات من الموت شرطا للخلود؟.

- الفرضيات:

- الطوطمية نظام ديني وشرعية أهل الصحراء قديما.
- انتهاك المقدس سبب المسخ ونيل اللعنة
- لا بد للخلود من التضحية والزهد بالجسد والروح.
- المجتمع الصحراوي يقدس التابو ويؤمن أنه طريق الخلود والخلاص من اللعنة.

- أهداف البحث:

- معرفة تعامل الشعوب البيدائية مع الطوطم والتابو.
 - نظرة إبراهيم الكوفي للطوطمية وكيفية معالجتها سرديا.
 - معرفة شرط نيل الخلود عند أهل الصحراء.
 - تمثيلات الطوطم والتابو عند إبراهيم الكوفي.
- وقد عالجنا هذه الدراسة لمحة عامة حول الطوطمية، ثم وصفا شاملا للمجموعة القصصية -ديوان النثر البري-، وبعدها قداسة الماء والطوطم عند الصحراويين، إضافة إلى الألوهة القمرية وخطيئة سيد الصحراء وقصة الخلق الأولى، مروراً بقصة الضب ونداء الأساطير الفرعونية الوثنية، ثم الفداء والتكفير عن الخطيئة، وكذا الضب وتيمة الخلود، إلى الوليمة الطوطمية واللجنة الأبدية، وفي النهاية الإلهام المقدس والبعث حيث الضب في ميلاده الجديد، وختاماً مجموعة من النتائج المستوحاة من هذا البحث.

1- الطوطمية:

الطوطمية « Totémisme » هي من أهم المراحل الدينية التي مرّ بها الفكر الدينيّ الإنساني، وقد عرفها سيجموند فرويد « Freud » قائلاً إنّه: "نظام ينوب مناب الدين لدى بعض الأقوام البدائية، تمثل أساساً بالحيوانات ولكن هناك أيضاً النباتات والجمادات"⁵.

وهذه الكلمة مأخوذة من الطوطم « Totem »؛ وهو الحيوان أو النبات أو سوى ذلك مما يكون مقدساً لدى جماعة أو قبيلة أو جنس من الشعوب البدائية، ويرمز للجماعة ويحميها، وهي تعامله بطرق مختلفة للعادات والتراث، وتدور حوله طقوسها الدينية وشرائعها.

والطوطم حسب فرويد هو في العادة حيوان يؤكل لحمه، مسالماً، أو خطر مخيف، وفيالنادر شجرة أو قوة طبيعية (مطر، ماء) ذو علاقة خصوصية مع كامل العشيرة، فالطوطم هو الأب الأول للعشيرة، ومن ثم الروح الحامية لها، المعين، الذي يرسل لها الوحي، والذي إذا كان هناك خطر ينذر أبناءه ومن أجل ذلك يخضع أبناء الطوطم لالتزام مقدس، رادع ذاتياً، يقضي بأن لا يقتلوا طوطمهم أو يستغنوا عن لحمه، ويجري توارثه من طرف الطوطم الأم أو من طرف الأب⁶.

أما إميل دوركايم فإن الطوطمية عنده نوع من عبادة الأفراد لعشيرتهم أو مجتمعاتهم لأن كل ما في الطوطمية يشير إلى رموز في العشيرة، ولذلك اتجه إلى تقديس العشيرة من خلال رموزها الطوطمية. ويرى أيضاً أنّ هذا النظام قد انبعث من تلقاء نفسه من العقل الجمعي، فالحياة الاجتماعية لا تستقيم إلا إذا كان المجتمع و نظمه و أوامره ونواهيه موضع تقديس الأفراد و ترويضهم على هذا التقديس و الإجلال⁷.

بناء على ما تقدم، نستطيع القول بأن الطوطم هو ذلك الحيوان – أو النبات – الذي تتخذة القبيلة أبا أو جدا لها، معتقدة بأنها من سلالتها، بل وقد تتسقى باسمه، وتقده أئما تقديس. وصاحب الطوطم هو الذي لا يؤدي طوطمه ويقده، لا يأكله إلا عند الضرورة. وإذا مات احتفل بدفنه وحزن عليه. كما يعتقد بأنه إن هو أهانه أو أساء إليه، أصابته المصائب والنكبات.

أما الطوطم، فيندر أصحابه بالخطر قبل وقوعه، برموز أو إشارات، بل ويلعب دور المخلص في أوقات الشدة، كما "يبعث إلى صاحبه بأجمل الأحلام. من أجل ذلك حرام هتك الحيوان أو لمسه"⁸.

2- المجموعة القصصية ديوان النثر البري:

في هذه المجموعة القصصية يعرض الكوفي مجموعة من العوالم السردية، ولكن تركيزنا وقع على ما يتقاطع مع الطوطمية لذلك اخترنا قصة الضب التي وزعها على ستة مقاطع تتضافر في ما بينها لتبين تقديس أهل الصحراء لهذا الحيوان وحضوره في الميثولوجيا المغاربية.

يعرف إبراهيم الكوفي الضب نقلا عن الحسن بن الوزان الملقب بليون الإفريقي بقوله: "يعيش هذا الحيوان في القفار ويشبه الوزع في شكله، لكنه أضخم منه، طوله ذراع رجل وعرضه أربعة أصابع، لا يشرب أبدا، وإذا أرغم على الشرب بوضع الماء فيه مات لحينه، ويبيضه كبيض السلحفاة كثير، لا يسلم جلد إلا عند أكله بعد أن يشوى. لحمه لذيق كالحم الضفدة، وله نفس الطعم، وهو سريع كالوزع، وإذا اختفى في غار وبقي ذيله خارجا فلا تستطيع أية قوة إخراجه منه، فالصيادون يوسعون الغار بمعول صغير ويمسكونه، وإذا قرب من النار بعد ثلاثة أيام من ذبحه تحرك كما لو كان قد ذبح في تلك الساعة"⁹.

3- قداسة الماء عند أهل الصحراء:

قبل أن نخلل ميثولوجيا الطوطم في قصة الضب لهذه الرواية، لا بد أن نبين جزئية مهمة يتضح من خلالها طريق العبور بين سيد الصحراء والضب فأهل النجوع يقدسون الماء لأنه رمز الحياة عندهم يقول فيليب سيرنج: "إن المطر والتلج اللذين يسقطان من السماء لا يعودان إليها بدون إرواء الأرض، وبدون تخصيصها وبعد بذرها لإعطاء الحبز لمن يأكله"¹⁰ ولا بد لمن يتعدى على النوميس أن يقابل بالعقوبة والمسوخ وهذا ما حدث لسيد الصحراء الذي نسي الوصية التي تلقها كل أم لصغيرها قبل أن يدب على قدميه؛ "اعلم يا ولدي أن الماء مقدس، والوادي الذي تراه هو آخر نهر جار على وجه الصحراء الكبرى كلها. ويل لمن تجرأ واعتسل في مائه. مزبور في حجارة الأولين أن من يدنس الماء المقدس سيصبح مسخا جزاء له. فهل تريد يا ولدي أن تتحول إلى حية أو خنفس أو ضب؟ إياك. إياك. ثم إياك"¹¹. وهذا دأب إبراهيم الكوفي في أعماله حيث يظهر الماء عنصرا حيويا قويا حتي اعتبره دما أضاع لونه¹² وفي مقطع سر الظلم من "رواية المجوس" يصفه بأنه الحياة ويظهر ذلك في تناص له "أنطوان أكرويري" في نصه "كوكب الخلق": "الماء لا طعم لك، لا لون لك، لا رائحة لك أنت لا توصف، يتلذذ بك دون أن تعرف ما أنت، أنت لست ضروريا للحياة فحسب، ولكنك أنت الحياة"¹³. من خلال هذا يتضح لنا سر طوطم الضب الذي انتهك حرمة القداسة فنال الجزاء.

4- دراما الحلول وقداسة الطوطم:

أكدت الدراسات الأنتروبولوجية أن كل جماعة بدائية اختصت بطوطم (طير أو حيوان أو نبات)، وهذا الطوطم يرمز إلى روح الأب الأول للعشيرة الذي يقوم بحماية القبيلة ودفع الخطر عن أبنائها، ويحتل "طوطم" القبيلة مرتبة التقديس والتحریم "التابو"، حيث لا يجوز قتله أو صيده أو أكله، وبموجب هذه العقيدة الطوطمية يلتزم أبناء القبيلة أو العشيرة التزاماً مقدساً بالأب يقتلوا طوطمهم على مستوى النوع وهذا يشمل كل أفراد الطوطم على العموم، وإذا قام أي فرد من الجماعة باختراق هذا الناموس فإنه سيعرض الجماعة للهلاك والزوال ونزول اللعنة والعقاب، ومن هنا تتشكل العلاقة بين ثنائية الطوطم والتابو حيث أن الطوطم يفرض تابوها خاصا بحميه.

وقد ركز فرويد على مفهوم "التابو" أي المحرم ويُمثل في مشاعر الخوف من الأرواح والطبيعة. فالتابو يأخذ صورة طاقة لاواعية تتحرك في أعماق العقل الباطن للإنسان البدائي تعمل على ضبط تصرفاته الغرائزية، وقد تجلى هذا التابو لدى البدائيين في نوعين من التحريم الأساسي: تحريم قتل "الطوطم" حيوانا كان أم نباتا أم جادا من جهة، ومن ثمّ تحريم العلاقات الجنسية بين الأفراد الذين ينتمون إلى طوطم واحد من جهة ثانية.

يستجمع ديوان النثر البري التصورات الطوطمية للمجتمعات الصحراوية المبينة على التناقضات، فالضبب في البداية كان أميراً للصحراء وزعيماً لإحدى القبائل ولكنه هنك الستر وتعدى على نواميس الطبيعة ودّس الماء، فعوقب بالمسخ والتحول إلى ضب يتوسد حجره لآلاف السنين، ففسدت الرواية بهذا دراما الحلول والعلاقة الروحانية التي تجمع الإنسان بالحيوان، حيث أصبح الضب طوطماً، وصار الجد الأول مما جعله مقدساً في لحمه ودمه وجعله رمزا للخلود.

وقد أولى سيجموند فرويد في نظرية التحليل النفسي الأسطورة أهمية بالغة في دعمها للنظام الاجتماعي، وكانت أكثر ما اجتذبت: الطوطمية، أول أساليب النظام الاجتماعي في القبائل البدائية، أسلوب اتحدت فيه بدايات النظام الاجتماعي بالدين وسيطرة صارمة لعدد ضئيل من نواهي التابو، في ذلك النظام الكائن كان المقدس في الغالب حيوانا تدعي القبيلة أنها انحدرت منه. وقد استطاع السارد أن يجسّد ما تحدث عنه فرويد في الضبّ الذي يمثّل طوطم القبيلة، حيث اتخذها الناس جدا وأصلا لهم.

في البداية كان سيد الصحراء يسير في الوهاد بكبرياء وتبخر فخسده ملك الظلمات وسلطانها على ما يملك من بهاء فدير له مكيدة أوكلمها لسعلاة بدت له في صورة حسناء جميلة تغويه، كلما رآها تبعها ووجدتها تمشي فوق الماء دون أن تبنتل وكلمها التفتت إليه وابتسمت شجعتته على اللحاق بها رغم إشارات التحذير التي كان يتلقاها من وجه القمر خاصة الوصية التي تلقنها الأم لطفلها ليتجنب تدنيس الماء، ولكن غمرة الحسنة أنسته الوعد فقفر إليها ونسي الوعد وسقط في الوادي مدنسا الماء، تحولت الحورية لطائر وهربت حينها فقهقه سلطان الظلمات وبدأ المسخ فصار الأمير ضبا؛ "وجد نفسه يزحف على يديه وركبتيه، استطال وجهه ثم استدار حتى استقرّ على هيئة جديدة كوجه الضفدعة، نبت في دبره ذنب مسنن خشن، تقلّصت الركبتان واليدان ونبتت لهما في أطرافها مخالب شرسة، حاول أن ينهض ويقف على قدميه فلم يقدر، زحف فسمع الصوت المهيب"¹⁴، وبعدها أصبح يتوسد حجره آلاف السنين يعتزل الخلاء ستة أشهر ويخرج بعد الربيع ليؤدي صلاته والخبية لا تفارقه لأنه خان العهد وخرّم عليه الماء إن شربه هلك كما يقول السارد: "خنت العهد وخسفت بآخر ينبوع ماء، كئبت عليك أن تعيش خالدا في بدن ضب، وسأضع بينك وبين الماء عداوة، إن ذقته هلكت، وسوف تهرب من وجه المخلوقات، وتعيش في الجحور معتزلا، نجلا"¹⁵. وكان في كل مرة يتعرض لسخرية سلطان

الظلمات وتهكمه الذي يظهر في صورة حية إلا أن الضب ظل محافظا على كبريائه فقد تغير وعاء الطين ولكن هيبات أن يتغير الأصل. وهذا ما جسّد حلول الإنسان في الحيوان.

5- الألوهة القمرية:

إذا تتبعنا سيرة الضب من البداية سنجد أن تحذير وإشارات القمر له قبل وقوع الخطيئة يتأثل مع ما حدث لآدم عليه السلام في قصة الخلق، ولكن الجدير بالذكر أن القمر هو من تقمص دور الإله، وهذا معروف في عرف الطوارق والقبائل الصحراوية، فالاعتقاد بأنوثة القمر وتمثله للأم الكبرى ديدن الحضارات السالفة، وبقيت آثاره في ثقافات الأمم البيدائية في عالمنا الحديث، فالإنسان كان يتأمل في مظاهر الكون العجيبة حائرا، محاولا إيجاد التفسير لما يجري من حوله، وراقب حركة أجرام السماء وسير شمسها وقمرها وتتابع ليلها ونهارها، "فكان القمر أول ما رمى في نفسه الروح والرهبة بتألقه وسط الليل الغامض وتعارضه مع القبة المعتمدة التي يسبح فيها، وغلبته على جميع الأجرام المنيرة المنتشرة في أرجاء السماء، فكان أول جرم ساوي توجه إليه بالعبادة."¹⁶ من هنا بدأ الاعتقاد بعناية القمر وألوهيته التي ترعى الخلائق وعاشت القبائل البيدائية على تقديسه وعبادته، واتباع إشاراته وتجنب نواهيها، خاصة أنهم وجدوا فيه تقبلا وتنوعا فهو ليس مثل الشمس التي لها نظام ثابت كل يوم تشرق وتغرب من نفس المكان، بل كل يوم هو في شأن يغير مكان بزوغه وغروبه، يكتمل ويتضائل، "فكان القمر بحق أنثى كونية عظمى، وكان هو ذاته الأم الكبرى والدة الكون، والأرض الخصبة قد ظهرت في تجليها الجديد: القمر"¹⁷. وما يدعم ألوهة القمر فضلا عما ذكر سابقا ما ورد في أنشودة أسطورية لـ "عشتار" حيث تصف نفسها بأنها ملكة السماء وهي تتمثل القمر الأم الكبرى:

- أنا ملكة السماء، ذلك المكان الذي تشرق فيه الشمس¹⁸.

هذا اللقب الذي لقيت به نفسها عشتار من الألقاب الرئيسة التي لازمتها إلى جانب ألقاب وأوصاف أخرى معظمها يشير إلى علاقتها بالقمر، وحتى "إيزيس" تتخذ ألقابا مشابهة كسيدة السماوات، ونور السموات، الساطعة المنيرة، اللامعة، حتى إذا وصلنا إلى مريم العذراء وجدناها تحمل نفس الألقاب القمرية، فهي سلطنة السماء، وهي قمر الروح، والقمر الخالد، وقمر الكنيسة.¹⁹ إن إحساس الشعوب القديم بعناية القمر كبير جدا لذلك كان معبودا عندهم ومقدّسا لدرجة عالية، ويظهر ذلك بوضوح في تحذير القمر لسيد الصحراء وعنايته بها حفاظا عليه وحتى يجنبته من الوقوع في الخطيئة، وحتى في عقابه له بعد ذلك، وكثيرة هي المقاطع التي تدعم ذلك من هذه المجموعة القصصية، فالرعاة الثلاثة الذين قبضوا عليه يلقبون القمر بـ "سلطان الضياء" ويرونه إلههم المعبود "هو جدنا الذي مسخه سلطان الضياء لأنه كثر الغدير ودّس الماء، نحن نأكل الجد كي يمنحنا بركته"²⁰. ولما كان في البداية سيّدا يمشي الخيلاء ظهرت أمامه الحسنة فاقنّى أثرها وكان القمر يحذره من ذلك "ينعكس عليه ضوء البدر فيومض بالإشارة ويتحفّر للبوح"²¹، وحتى لما هم بفعلة كما آخر ما فعله تفقد للقمر بنظرة حيرة "رفع رأسه نحو البدر متسائلا فحذره الكوكب بإمعاء كنيّة، ولكن لم يفهم إشارة السماء"²² سحر الحسنة أنساه الوصية وغلب على تفكيره فنسي تذكير الإله القمر "اكتئاب الكوكب ألهمه بالوصية المزبورة على جدران الجبل"²³، وفي اللحظة الحاسمة التي سبقت الجرم المشعوم لاحت على خاطره صورة القمر "تذكر المكابر هذا العهد بإيجاء من القمر ولكن ذلك كان للحملة خاطفة"²⁴، وبعد وقوع المعصية أحس سيد الظلمات بحقيقة

الذنب خاصة لما "وقع في قلب الماء أشاح القمر بوجهه وهرب من الصحراء"²⁵، كل هذه المقاطع تبين العناية التي كان يحظى بها سيد الصحراء والشعوب القديمة من القمر، وكيف كان معبودهم الأول والمقدس.

6- خطيئة سيد الصحراء وقصة الخلق الأولى:

عاش سيد الصحراء في الوهاد متبخرًا متنعًا بكبريائه متقلبا في جمال الصحراء كما كان آدم وحواء عليها السلام يلامسان كل نعيم في الجنة، ولكنه نسي التحذير وألف العناية القمرية لدرجة اقتراف الجرم واستحق العقاب تماما كما نسي آدم عليه السلام شريعة ربه ونهيه عن الاقتراب من شجرة الخلد قال تعالى: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) البقرة: 35²⁶ ولكنه اقترف الذنب ونسي العناية الإلهية وتحذيرها من وسوسة الشيطان مصداقا لقوله عز وجل: (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجتكما من الجنة فتشتي) طه: 117²⁷.

فأكل من شجرة الخلد واستحق العقاب (فأرلها الشيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)، فالعناية الإلهية في قصة الخلق لها الدور نفسه مع عناية الألوهة القمرية في قصة الضب، فالقمر كان يذكر سيد الصحراء بالوصية الموروثة عن الأسلاف التي حرصت كل أم أن تلقنها للوليد قبل أن يدب على قدمين ويقترف الإثم في حق النهر، "قالت العجوز في ضياء القمر: اعلم يا ولدي أن الماء مقدس، والوادي الذي تراه هو آخر نهر جار على وجه الصحراء الكبرى كلها. ويل لمن تجرأ واعتسل في مائه، مزبور في حجارة الأولين أن من يدنس الماء المقدس سيصبح مسخا جزاء له. فهل تريد يا ولدي أن تتحول إلى حية أو خنفس أو ضب؟ إياك إياك. ثم إياك."²⁸

ورغم كل هذه العناية الألوهية من القمر إلا أن سيد الصحراء أعمته الحسنة التي كانت تجره للخطيئة بيها، لقد أوقعه سيد الظلمات في شركه بإرسال السعلاة في صورة الحسناء الفاتنة التي سحرته ووجد نفسه يقتفي أثرها، " في الأسفل جرى الماء المقدس جليلا صامتا حاملا سر الحياة والصحراء، ينعكس عليه ضوء البدر فيومض بالإشارة ويتحفز للبوح. ولكنه يعود للانكفاء مغموما متكتئا على سره. عبرت الحورية المجرى، حصلت أعجوبة. رآها بنفسه تمشي فوق الماء المقدس العكر، المخلوط بالطين والبحر، وتعبه إلى الشاطئ الآخر دون أن تغرق أو تبتل حتى أطراف ثوبها الفضفاض، رفع رأسه نحو البدر متسانلا فجذره الكوكب بإيماءة كنيية. ولكن هل يفهم إشارة السماء من رهن فؤاده في يد سعلاة تنتقل في هيئة حسنة من الفردوس؟"²⁹. لقد وقع المخطور وتجسد فيه ناموس الأولين مُسخ سيد الصحراء وتحول إلى ضب وقهقهة سلطان الظلمات بسخرية في حين اختفت الحورية وأشاح القمر بوجهه وهرب من الصحراء، زحف فسمع الصوت المهيب "خنت العهد وخسفت بآخري ينبوع ماء، كبت عليك أن تعيش خالدا في بدن ضب، وسأضع بينك وبين الماء عداوة، إن ذقته هلكت. وسوف تهرب من وجه المخلوقات وتعيش في الجحور معتزلا خجلا"³⁰. وهذا نجد أن قصة الضب تشبه قصة الخلق والخطيئة الأولى إلى حد كبير ولا بد من التكفير عن ذلك بالنفي والطرء، أخرج آدم من الجنة ونزل للأرض، وشلب سيد الصحراء بهاء وعاش في جلد ضب، آدم اغترب في المكان وسيد الصحراء اغترب جسديا فرديا ونفسيا وحتى اجتماعيا.

7- قصة الضب ونداء الأساطير الفرعونية الوثنية:

بعد ما وقفنا عند التقاطع بين قصة الضب وقصة الخلق الأولى خاصة في ما يتعلق بالخطيئة والعناية الألوهية، نود الإشارة كذلك إلى تماثل آخر وهذه المرة بين قصة الضب وأسطورة فرعونية وثنية وهي أسطورة "أوزيريس وحورس"، ففي البداية تزوج إله الأرض "جب" بربة السماء "نوت" وأنجبا أربعة آلهة هم "أوزيريس" و"إيزيس" و"ست" و"فتيس"، ثم تزوج أوزيريس بإيزيس وست بنفتيس³¹، كان أوزيريس رمزا للخير والطيبة أما سيت فهو رمز للشر والظلم، كاد الشرير للطيب فقتله ورماه في الصحراء، وقامت إيزيس بحمل ابنها "حورس" وانطلقت للبحث عن أبيه مستنفدة كل أساليب إبطال السحر، ولكنها فوجئت بأن سيت قطع أوزيريس إلى عدة قطع ورمها في مواقع مختلفة، جمعت القطع وأدى لأول مرة بشعائر التحنيط لتعيد الإله إلى الحياة الأبدية، إننا في هذه الجانب نقف على تيمة الخلود فشرط الحياة والخلال هو الموت والبعث من جديد، وهذا ما حدث مع الضب عندما هجم عليه مجموعة من الصبيان وقطعوه إلى عدة أشلاء "سمنزقه إلى قطع بعدد أفراد القبيلة، وسنوزعه عليهم ليتخذوه تعاويذ وأدوية"³² بل بلغ الأمر أكثر من ذلك "قطعوه أشلاء، ولكن الرأس الكاسح ظلّ متشبثا بالسقف العلوي الأملس من الحجر الصواني، فاضطروا أن يأخذوا الأعضاء الأخرى ويتركوا الرأس لصيقا بالحجر"³³ ولكنهم كانوا يجهلون السر الذي يعلمه حكيم القبيلة وحده "ظن الأشقياء أنهم أزالوه عندما خربوا الجسد، ولم يعرفوا أنّ من اتخذ القبر مقاما لا يموت ولا يعبأ بالخلال الوعاء"³⁴، لا بد للخلود من الموت والانبعث، إته التيمة التي لا بد لكل طالب للخلود أن يتسلح بها، هذا الأمر يفرض نفسه في الميثولوجيا مهما اختلفت الحضارات فحتى "حورس" تم تقطيعه وألقي بقطعه في الماء وأعاد الإله سييك (SebeK) التماسح تشكيله بناء على طلب أوزيريس³⁵، من هنا يظهر أن الكوني في قصة الضب استحضرت تيمة الخلود الفرعونية القديمة لأنها شرط الخلاص ولا بد للموت والبعث من جديد.

8- الفداء والتكفير عن الخطيئة:

يعتقد النصارى أن آدم عليه السلام لما وقع في الخطيئة كان سببا في شقاء البشرية كلها من بعده، حيث ورثوها وظلت ملازمة لهم، ولا بد من مخلص وتكفير عن ذلك، يقول بولس: "أن يسوع أسس اتفاقا جديدا يعرف بالعهد الجديد بين الله والإنسان، وبموجب هذا الاتفاق الجديد يموت الرب يسوع بدلا من الخطاة، وعلى خلاف دم الحيوانات فإنّ دم اليسوع المسيح يزيلا فعلا خطايا كل من يؤمن به"³⁶، فالمسيح كفر عن خطيئته بتقديم نفسه قربانا حتى تُمحي خطيئة آدم، "سلمت إليكم قبل كل شيء ما تلقيته وهو أنّ المسيح مات من أجل خطايانا"³⁷، ويقول القس بولس في موضع آخر: "ولم يظلم الله البشر في هذا الحكم، لأنّه كما شمل الحكم بالموت جميع البشر الذين ولدوا من آدم كذلك شملهم جميعا عمل الفداء الذي قام به أقنوم الابن المسيح المتجسد الذي سار موته فداء جميع الناس"³⁸، وما نجده في المعتقدات المسيحية نلمسه في قصة الضب الذي ارتكب الخطيئة الكبرى في عرف الناموس الصحراوي وكان لا بد للقبائل والشعوب والأجيال أن تتطهر من هذه الخطيئة لتجد الخلاص وتنال رحمة السلطان، وكان الضب هو الفداء فلم يشفع له حرمانه من الماء عقوبة على ما فعله ووضع العداوة بينه وبين السائل الحيوي، "فدبر له أقسى قصاصه، وضع بينها عداوة، وضع قوته في قطرة ماء، ولو اكتفى بهذا العقاب لهان الأمر"³⁹، ولكن كتب عليه السلطان أن دمه هو سر الخلود، فلا بد لكل صحراوي أراد الخلود أن يشرب من دمه فالضب "هو الجد الأول الذي تعرّض للقصاص بسبب

تعرض تطاوله على الماء، ولذلك يعطي دمه الحياة لكل من أعجزه الزمان مثل زعيمنا⁴⁰، ولهذا دوما ما ينتظره الأهالي ويسنون سكاكينهم انتظارا لخروجه من مرقده يتحينون فرصة القبض عليه ليمدوا أعمارهم بدمه، "أو يمنحوا الحياة والخلود لزعمائهم وعزافهم على حسب حياته أو عذابه"⁴¹، ومما تم عرضه نستخلص أن التكفير عن الخطيئة والفداء أصل في المعتقدات المسيحية والشعوب البيدائية، فلا بد من قربان يضع حدا لتوارث الخطيئة وينال رضا السلطان وهذا ما تجسد مع المسيح عند النصارى وسيد الصحراء عند الشعوب الصحراوية.

9- الضب وقيمة الخلود:

سنقتسم هذه النقطة إلى قسمين أولها نبين فيه سبيل الضب إلى الخلود وكيفية نياله، وثانيها سعي أهل الصحراء وراء لحمه ودمه ليكتب لهم البقاء والخلود وسط التيه والفناء الذي يحيط بهم، ولكن هذا لن يتأتى لهم ما دامت الحكمة غائبة عنهم ومن لم يعرف السر في خلود الضب لن يستطيع إليه سبيلا.

يقول الكوفي: "عرف أيضا أن الصيام ليس قيمة لعلاج الهوى وحده، وإنما هو الذي يرجع له الفضل في اكتساب المناعة ضد الموت. ولا يعرف أولئك البلهاء الراكضين وراء الشَّع والامتلاك أن صيامه هو سر خلوده"⁴² لقد أيقن الضب أن الجوع قيمة البقاء لأنه يصفي الدم ويزيله من الأوردة والعروق ومما سنَّ صيادوه سكاكينهم فإنَّ الموت يهرب مع قطرة الدم والحياة تنتشر في مكان آخر من جسمه.

يذكر السارد ثلاث قصص تبين بعد الموت عن الضب وقربه من الخلود الأولى لما قبض عليه ثلاثة رعاة بعد ما جرفه السيل من حجره، نحروه ولكنه لم ينزف و"إذا نزف الضب فتلك علامة شؤم"⁴³، وضعوه في الخلالة* ومضوا في طريقهم، وبعدما سمع الشجن في برزخه غادرها وعثر على حجر يأويه ليواصل بيانه الشتوي. أما القصة الثانية فهي متعلقة براع يلقي عليه القبض مع صديقه لكنها ينأمان تاركان إياه في الخلالة على أن يموت وفي الصباح يفاجآن بهربه وعودته للجحر فهو "لن يموت بسهولة حتى لو نزف، ألم تنفق على أنه دفع بدن الإنسان، ورضي بجلد ضب مقابل الخلود؟ هل يرضيك أن تحشر في بدن الضب مقابل الخلود"⁴⁴. وقد خصص الكوفي المشهد الثالث لتجار القوافل الذين استغفلوه وهو ينعم بشمس الربيع فقبضوا عليه واختلفوا على مكانته بين الشؤم والبركة، ثم ألقوه في النار ولكن "لم يدرك الحمقى أن النار لا تأكل إلا من يأكل، والسكين لا يقتل إلا البدن المسكون بالدم، والموت يهجر البدن الميت لأنه لا يجد ما يتغذى عليه"⁴⁵. لم يعلموا أن العدم يفر من جسد تبيست فيه الأوردة والأوعية والعروق، وهذا لغز الدائرة السرية التي تتعلق الحياة فيها بمخلوق يعتقد الآخرون أن لا حياة فيه بعد خلوته مع أفكاره استطاع أن يهرب منهم ويعود لمسكنه ممارسا طقوسه وصلاته.

كما تزرخ المجموعة القصصية "ديوان النثر البري" بالكثير من المقاطع التي تبين أن سر الخلود في الضب، فأهل الصحراء يسعون لليل دمه ولحمه من أجل البقاء، خاصة أن الجد الأكبر عمر طويلا بعد المسخ، لذلك يتبركون به كما قال أحد الرعاة بعد أن قبض عليه: "نحن لا نأكل لحمه ولكنا نتبرك به، هو جدنا الذي مسخه سلطان الضياء لأنه كثر الغدير ودنس الماء، نحن نأكل الجد كي يمنحنا بركته"⁴⁶.

فالحكماء يؤكدون أن منافعه لا تعد ولا تحصى ويرجون منه الشفاعة وامدادهم بالقوة، وهذا ما يجسد بعدا ميثولوجيا يجعل الضب يتسم بخصائص الألوهية والتقدیس فالطوطمية تعد إذن "مظهرها من مظاهر أسطورة التكوين،

حيث يحسد تقديس الإنسان لحيوان بعينه أو لنبات، أو لكائن غيبي، يجعله محل عبادة، وتبجلها كآلهة ويعبد الطوطم من خلال هذا المذهب مظهرًا من مظاهر تجسيد الألوهية والتقديس وأصلاً لفرع، هو القبيلة أو العشيرة (أي الفرد)⁴⁷، إلا أن البعض يحرم لحمه لقداسته واتباعاً للأسلاف حيث يقول الكوفي في أحد المشاهد: "جدي يقول أن الضب وليّ ولحمه حرام" ويرويه أقدم ناسك في الصحراء يعتزل للزهد في الحجر كما يفعل الدراويش في الكهوف والزوايا⁴⁸. وفي تحريم لحمه مغزى آخر وهو الحفاظ عليه حياً لأنه حياته من حياتهم وكلما أصيب بسوء كان ذلك نذير شؤم عليهم وفي هذا المقام يقول جيمس فريزر في كتابه الغصن الذهبي: "عندما يسمي البدائي نفسه باسم حيوان ويناديه على أنه أخوه ويرفض أن يقتله يقال عن الحيوان أنه طوطمه، والسبب الذي يجعل العشيرة تبجل نوعاً معيناً من الحيوانات أو النباتات وتسمي نفسها باسمه هو اعتقادهم أن حياة كل فرد من العشيرة مرتبطة بحيوان معين أو نبات معين، وأن موته أو موتها هو نتيجة قتل ذلك الحيوان أو تدمير ذلك النبات"⁴⁹، وهنا تحديداً نستحضر المعتقد الطوطمي الذي ينادي بالأصل المشترك بين الحيوان والطوطم فغالبا ما يعتقد أفراد القبيلة الطوطمية بأنهم يرتبطون مع حيوانهم الطوطم برابطة الأصل المشترك⁵⁰. وما يزيد هذا وضوحاً ما صرح به فرويد: "فالطوطم هو أولاً الأب الأول للعشيرة، ومن ثم الروح الحامية لها، والمهيّب، الذي يرسل لها الوحي، والذي -إذا كان خطراً- يعرف أبناءه ويصونهم"⁵¹.

10- الوليمة الطوطمية واللعة الأبدية:

إنّ ما يصوره الكوفي في قصة الضب التي تستحضر ميثولوجيا الخلود يتواءم مع ما قدمه فرويد في أسطورة القتل الأول أو ما يعرف بالوليمة الطوطمية في استكشاف المنشأ الأول للحضارة الإنسانية، وهذه الأسطورة تنفي أن جماعة من البدائيين في الزمن الأول، يحكمهم أب ذكر قوي، قام بالاستحواذ على نساء القبيلة جميعهن، وفرض نظامه من التحريم الجنسي الصارم على أفراد العشيرة وأبنائه، ولم يستطع الأبناء مقاومة القمع المستمر، والكبت الشديد لدوافعهم وميولهم الجنسية، فغضبوا وثأروا على أبيهم فقتلوه والتمهوه، وعلى الأثر، ثم وقع صراع ميث بينهم على تركة الأب، فدبت الفوضى بينهم، ونشب النزاع المميت، فاقتتل الأخوة، وسفكت دماؤهم، في ظل غياب سلطة الأب وهيئته والنظام الذي وضعه. عبر هذا التصور الأسطوري الأنتروبولوجي حاول فرويد أن يفسر نشأة العادات والأخلاق في المجتمعات الإنسانية القديمة البدائية، من خلال تشكل تناقض وجداني هائل أسفر عنه قتل الأب وأكله والندم على استباحة دمه في الآن نفسه، فتحول إحساس الأبناء القتل بالذنب إلى عذاب مرير ترجموه إلى طقوس "طوطمية" اتخذت مع الزمن طابعا دينيا مقدسا، وتحولت مع الوقت إلى أنظمة أخلاقية تحرّمية تحوّل فيها الطوطم الأبوي إلى مقدس ديني، وقد أسس هذا المقدس لاحقا للعرف والقانون والأنا الأعلى الأخلاقي في المجتمع، وهذا ما جعل أهل القبيلة في قصة الضب يستنبحون طوطمهم في أوقات معينة وطقوس محددة وبذلك يستعيدون ذكرى اقتراف الجريمة الأولى، هذه الحادثة الوجودية المؤلمة التي يجب أن تبقى في الذاكرة من أجل تعزيز الدورة الحيوية للقيم والأعراف المتصلة بالتحريم من جديد، إضافة إلى تجديد الشعور بالألم والندم والاستغفار على نحو يجعلهم يرسخون إيمانهم من جديد بكل القيم التي بنيت على مبدأ تحريم المحارم وتقديس الأب. فأهل النجع يكررون الجريمة بقتل الجد (الضب) من جديد والتهامه رمزياً (قتل الطوطم والتهامه) لتأجيج الشعور بالندم وإحيائه من جديد، ومن ثم يحيي الطاقة الحيوية للإنسان في التأصيل الأخلاقي للقيم والحرم والتأبؤ من جديد. إنّ روح الأب أو الجد الأول (الضب) سارية في أبنائه وسلالته لذلك يسعون لنيل

الخلود من خلال أكل لحمه وتحقيق الخلاص من الموت كما هي الحال مع المسيح، فالطوارق يطلبون نوال الخلود بفعلتهم هذه، خاصة أن جدهم الأول حظي به بفقدته لعنصر الحياة، تماما مثل المسيح الذي مات وقام من موته بعد ثلاثة أيام كي يخلد ويعد أبناءه بالبعث من الموت.

وما فعله الكوفي في هذا المشهد السردي يتأثل مع طقوس المناولة الأولى المسيحية حيث تنطبق حيثيات قصة الضب مع مراسم العشاء الذي تناوله يسوع مع تلاميذه عشية آلامه، وإحيائها يكون عن طريق تناول قطعة صغيرة ورقيقة من الخبز وهذه القطعة تمثل جسد يسوع، وفي بعض الأحيان يتم غمس هذه القطعة في القليل من الخمر الذي يمثل لديهم دمه⁵²، حيث يعتبر أهل الكنيسة هذا أحد الأسرار السبعة ويسعون من خلاله إلى تقديم القربان المقدس وقيمة عرفان وشكر حتى يتمكنوا من الإحساس بالتوبة والاعتراف في أبهى صورته، الأمر نفسه الذي كان يفعله أهل النجع مع الضب جدهم الأكبر.

11- الإلهام المقدس والبعث، الضب في ميلاده الجديد:

يفتح إبراهيم الكوفي إحدى قصصه المتعلقة بالضب في هذه المجموعة القصصية بمثل للطوارق أورده مستعملا لغة "تماق": "أكسفيغ إيفينغ إيسلي وهيديكس ولا إميلي"⁵³ ومعناه إذا توسدت الحجر فلا يوجد قوة تخرجني من الحجر، وهذه الخاصية أحد خوارقه وميزاته التي أعانته على الخلود والتغلب على أسباب الفناء، كان الضب في حجره يتأمل ويؤدي صلاته ونسكه ويفكر في سر خلقه، صلابته رأسه وقساوة عنقه وقوة ذيله، وبينما كان ينعم بالحشائش البرية، فاجأه مجموعة من الصبية الأشقياء، تمكنوا منه وعبثوا به طويلا ضربا وتعذيبا، ولكنه غافلهم وانطلق في العراء، ولما أدركه قبل أن يبلغ حجره اختبأ تحت تجويف صخري وعر، حاولوا بشتى الطرق إخراجه لكن دون جدوى، وفي كل مرة يصيح فيهم بتعويذته التي أصبحت مثالا عند الطوارق، وهذا ما زادهم وحشية وإصرارا على التنكيل به وتقطيعه انتقاما لعجزهم، قطعوا ذنبه وأرجله الخلفية حتى تبدت العروق والأوعية وفزّ من اللحم الممزق سائل أصفر شحيح، وعزموا على تقطيعه إلى قطع تكفي أهل القبيلة ليتخذوه أدوية وتعاويز وهناك من يستعمله للسحر، ولكن أحدهم قال: "سمعت جدّي يقول أنّ الضبّ لا يموت حتى ينزف دما غزيرا، فإذا لم ينزف لن يموت حتى لو قطعته إلى ألف قطعة"⁵⁴، زادت شراستهم بعد ذلك وقطعوا كل أعضائه، لم يبق إلا الرأس الكاسح متشبّثا بالسقف العلوي الأملس، وفي الليل سمع حكيم القبيلة يحث الأهالي على الانتحاب والبكاء وطلب الغفران والعفو جراء ما اقترفه الصبية في حق الجد الأكبر، تركهم يندبون وأخرج الأعضاء من المخلاة ودفنها، حتى يتمكن الضبّ من استرجاع نفسه، ولم يفش هذا السرّ المتعلق بالبقاء وترك الأشقياء على ظنهم أنهم أزالوه بتخريب الجسد، ولم يعلموا أنّ من اتخذ القبر مقاما لا يموت ولا يعبأ بالخلال الوعاء. وما فعله حكيم القبيلة مع الأتباع يحسد الطوطمية في شقها الاجتماعي فهي تأخذ مظهر تعاقد أهل القبيلة فيما بينهم، فهذا النظام أساسه انقسام الجماعة الاجتماعية إلى عشائر⁵⁵. عندما ولد الضبّ من جديد في مثواه السفلي قام بتحية كبير القوم على حكمته في عدم إفشاء السر، ولقد تكررت التجربة أكثر من مرة حتى تمكن من تلقي الوحي من مستودع الذاكرة الفلكية وجاءه الإلهام المقدس ليعرف شيئا يسيرا من قدرته على بعث نفسه في كل مرة. وأيقن أنّ الزمان حتى بوحدة قياسه الفلكية لا يكفي المخلوق ليعرف نفسه.

خاتمة:

بعد دراسة القصص وتحليلها يتجلى المقدس بشكل واضح في أعمال إبراهيم الكوني، بل ذلك يطرح أكثر من إشكالية، لأن المتتبع لهذه الظاهرة يجب أن يخوض غمار البحث في الجذور التاريخية للمقدسات والمدنسات ورصد أصولها فضلا عن اختلاف مناهج الدراسة، ولكن تجربة الكوني منبع فياض للميثولوجيا والطوطمية، حيث إنها تجسد المناهضة الأسطورية وورقي السرد، ومن النتائج التي خرجت بها في هذه الدراسة:

- المجموعة القصصية ديوان النثر البري تحمل قيما فكرية وأسطورية وميثولوجية وطوطمية على وجه الخصوص.
- للعرف الصحراوي القبلي ناموس صارم، وكل من تعدى عليه احتاج إلى التطهر وإلا لقي الهلاك والمسح، فتدنيس المقدس يدمر حياة مجتمعات بكاملها.
- الصحراء هي الأنسب للبحث عن الطوطمية وسرها لأنها غنية بالمقدس والأعراف فالمجتمعات البدائية تتخذ من العرف والتأبو قانونا لها.
- الخلاص والحرية مبتغى كل صحراوي، وسعيه لذلك لا يتوقف.
- استحضر الرمز بقوة، وهو تعبير عن تجليات المقدس في الكون والطبيعة.
- البحث عن الخلود يدين الإنسان.
- الضب الجد الأول للصحراويين وقداسته عندهم لها منزلة كبيرة.
- لحم الضب قيمة الخلود في الصحراء ومن طلب البقاء فعليه بالجد الأول.
- الوليمة الطوطمية الصحراوية تتواشج مع المناولة الأولى عند المسيحيين.
- العناية القمرية كانت تحفظ الإنسان في الشعوب البدائية.
- قصة الضب تتأثر مع قصة الخلق في الخطيئة والفداء.
- سر الحياة وعصرها الحيوي يتحول في عرف الصحراويين إلى وسيلة للخلود في ثنائية متناقضة ومحكمة تحكمها الميثولوجيا الطوطمية.

هوامش:

¹ مرسيا إلياد، 1997، المقدس والمدنس، تر عبد الهادي عباس، ط1، دمشق، سوريا، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ص 21.

² ينظر مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، ص 89.

³ جيفري بارندر، 1993، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر إمام عبد الفتاح إمام، مر: عبد الغفار مكاي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 38.

⁴ هجيرة لعور، 2015/2014، أسطورة التكوين: المظاهر والتجليات -دراسة في روايات إبراهيم الكوني-، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الجزائر، إشراف صالح ولعة، قسم اللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، ص 19.

⁵ سيجموند فرويد، 2008، الطوطم والحرام، تر جورج طرايشي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص 10- 11.

⁶ ينظر سيجموند فرويد، 1983، الطوطم والتأبو، تر بوعلی ياسين، ط1، سوريا، دار الحوار للنشر، ص 23- 24.

⁷ وافي عبد الواحد، 1995، الطوطمية، أشهر الديانات البدائية، دط، القاهرة، مصر، دار المعارف، ص 104.

- ⁸ أورينت ستار، 1994، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، تر حسن نعمة، دط، بيروت، دار الفكر اللبناني، ص 52.
- ⁹ إبراهيم الكوفي، 1991، ديوان النثر البري، ط1، تاسيلي للنشر والإعلام، دار التنوير للطباعة والنشر، ص 153.
- ¹⁰ فيليب سبرنج، 1992، الرموز في الفن والأديان، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق للنشر، ص 350.
- ¹¹ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 180.
- ¹² إبراهيم الكوفي، 2003، أنوبيس، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 252.
- ¹³ إبراهيم الكوفي، 1992، المجوس، ج2، ط2، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر، ص 159.
- ¹⁴ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 181.
- ¹⁵ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 181.
- ¹⁶ فراس السواح، 2017، لغز عشطار، ط5، سوريا، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ص 65.
- ¹⁷ فراس السواح، 2017، لغز عشطار، ط5، سوريا، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ص 66.
- ¹⁸ فراس السواح، 2017، لغز عشطار، ط5، سوريا، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ص 68.
- ¹⁹ ينظر فراس السواح، لغز عشطار، ص 68.
- ²⁰ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 156.
- ²¹ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 179.
- ²² إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 180.
- ²³ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 180.
- ²⁴ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 180.
- ²⁵ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 180.
- ²⁶ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 35.
- ²⁷ القرآن الكريم، سورة طه، 117.
- ²⁸ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 180.
- ²⁹ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 179.
- ³⁰ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 181.
- ³¹ إسماعيل حامد، 2004، موسوعة الأساطير الفرعونية، تر: عبد الله فاطمة محمود، مر: محمود ماهر طه، ط1، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ص 67 و 68.
- ³² إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 174.
- ³³ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 175.
- ³⁴ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 176.
- ³⁵ القمص عبد المسيح أبو الخيزر، 2010، هل اقتبست المسيحية عقائدها من الأساطير الوثنية، ط1، عين شمس، مطبعة المصريين، ص 60.
- ³⁶ مجموعة من علماء اللاهوت، 1977، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التقريب والجمع التصويري، ط1، القاهرة، شركة ماستر ميديا، ص 2149.

³⁷ الكتاب المقدس، الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية، رسالة بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس الأولى، 3:15.

³⁸ ألفس بيدشوى حلمي، 2007، كاهن كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ط1، مصر، دار نوبار للطباعة، ص 276.

³⁹ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 155.

⁴⁰ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 190.

⁴¹ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 197.

⁴² إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 155.

⁴³ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 156.

* الخلاصة: كيس أو شبهه يوضع فيه العلف أو لوازم السفر ويعلق في عنق الإبل.

⁴⁴ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 158.

⁴⁵ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 161.

⁴⁶ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 156.

⁴⁷ هجيرة لعور، أسطورة التكوين، ص 153.

⁴⁸ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 159.

⁴⁹ جيمس فريزر، 2014، الغصن الذهبي، دراسة في السحر والدين، تر نايف الخوص، ط1، دمشق، سوريا، دار الفرقد للطباعة والنشر، ص 873.

⁵⁰ سيجموند فرويد، الطوطم والتابو، ص 124-125.

⁵¹ سيجموند فرويد، الطوطم والتابو، ص 23-24.

⁵² حبيب جرجس، دت، أسرار الكنيسة السبعة، ط4، القاهرة، مكتبة المحبة، ص 83.

⁵³ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 171.

* تماهق: لغة الطوارق وتكتب بحروف التيفيناغ.

⁵⁴ إبراهيم الكوفي، ديوان النثر البري، ص 174.

⁵⁵ فراس السواح، 2017، موسوعة تاريخ الأديان، الشعوب البدائية والعصر الحجري، ط4، دمشق، سوريا، دار التكوين، ص 44.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

- 1- إبراهيم الكوفي، 2003، أنوبيس، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 2- إبراهيم الكوفي، 1991، ديوان النثر البري، ط1، تاسيلي للنشر والإعلام، دار التنوير للطباعة والنشر.
- 3- إبراهيم الكوفي، 1992، الجوس الجزء الثاني، ط2، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر.
- 4- إسماعيل حامد، 2004، موسوعة الأساطير الفرعونية، تر: عبد الله فاطمة محمود، مر: محمود ماهر طه، ط1، مصر، المجلس الأعلى للثقافة.
- 5- أورينت ستار، 1994، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، تر حسن نعمة، دط، بيروت، دار الفكر اللبناني.

- 6- القمص عبد المسيح أبو الخير، 2010، هل اقتبست المسيحية عقائدها من الأساطير الوثنية، ط1، عين شمس، مطبعة المصريين.
- 7- القس بيشوى حلمي، 2007، كاهن كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، ط1، مصر، دار نوبار للطباعة.
- 8- الكتاب المقدس، 1993م، الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية، الإصدار الرابع.
- 9- جيفري بارندر، 1993، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر إمام عبد الفتاح إمام، مر: عبد الغفار مكاوي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- 10- حبيب جرجس، دت، أسرار الكنيسة السبعة، ط4، القاهرة، مكتبة الحبة.
- 11- سيجموند فرويد، 1983، الطوطم والتابو، تر بوعلی ياسين، ط1، سوريا، دار الحوار للنشر.
- 12- سيجموند فرويد، 2008، الطوطم والحرام، تر جورج طرايشي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- 13- فراس السواح، 2017، لغز عشنتار، ط5، سوريا، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- 14- فراس السواح، 2017، موسوعة تاريخ الأديان، ج1، الشعوب البدائية والعصر الحجري، ط4، دمشق، سوريا، دار التكوين.
- 15- فيليب سيرنخ، 1992، الرموز في الفن والأديان، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق للنشر.
- 16- فيليب سيرنخ، 1993، معجم الرموز في الفن والأديان، تر عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق للنشر.
- 17- مجموعة من علماء اللاهوت، 1977م، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس التقريب والجمع التصوير، الطبعة الأولى، القاهرة، شركة ماستر ميديا.
- 18- مرسيا إلياد، 1997، المقدس والمدنس، تر عبد الهادي عباس، ط1، دمشق، سوريا، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع.
- 19- هجرة لعور، 2015/2014، أسطورة التكوين: المظاهر والتجليات -دراسة في روايات إبراهيم الكوني-، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الجزائر، إشراف صالح ولعة، قسم اللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة.
- 20- وافي عبد الواحد، 1995، الطوطمية، أشهر الديانات البدائية، دط، القاهرة، مصر، دار المعارف.